رواية

# العدو الصديق

تأليف

خيرات الأبرش

دار بسمة للنشر والتوزيع

# خيرات الأبرش

اسم الكتاب: العدوّ الصّديق
اسم الكاتبة: خيرات الأبرش @Khyrat_alabrash
نـوع العمل: رواية
الرقم الدولي EBIN: 16-266-01-220719
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2023م / 1445هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

darbassma1@gmail.com

المملكة المغربية

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره..كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر. ©

# العدو الصديق

رواية

خيرات الأبرش

كلمة للنشر الإلكتروني

# الإهداء

.....

.....

.....

***

# الإهداء

**إلى عائلتي ...**

**إلى صديقاتي...**

**إلى نفسي...**

**إلى الصباح...**

**وإلى القهوة والشوكولاتة...**

***

# مقدمة

لا أخاف...

ولا أؤمن بالخر افات...

خاصة تلك التي تتعلق بالجن...

بالنسبة إلي الجن مخلوقات لا يمكنها أذيتنا إلا بإرادة الله عز وجل، و أيضا شرع لنا الإسلام الأذكارللحماية منهم، أيضا أين المشكلة إن ظهرلي أحد بني الجن، لماذا لا نصبح رفاقاً.

هذا ما حدث لي، وهذا ما كتبته هنا ...

واجهة حياتي بمختلف تفاصيلها المذكورة وبجانبي رفيق ...

ليس أي رفيق إنما رفيق من عالم آخر...

رفيق من العالم السفلي ...

الرفيق الـذي لم أقو على وداعـه أو الابتعـاد عنـه لحظـة ليحدث معنى ما حدث...

تفاصيل مملة أحيانا ...

وحيوية أحيانًا أخرى ...

حزينة كانت أو سعيدة...

تاركةً في قلبنا أسئلة تطرح نفسها بثقل دون جواب ...

والاهم أن النهاية مجهولة...

والمصير آت، حتى وإن جهلناه أو تجاهلناه...

لا فرق عنده ...

علينا تقبله بالإجبار...

لذا عزيزي القارئ، أحضـر مشـروبك المفضـل وربط حزام الأمان لأن رحلتنا ستبدأ...

***

# تنبيه

**جميع الأحداث المذكورة هنا من ضرب الخيال.**

# الفصل الأول

# واجب محلول

كانت تلك ليلة يوم أحد عاصفة، أتذكر أن البرق كان يومض من خلف ستار نافذة غرفتي، مع هذا أنا أحب صوت المطر كثيراً، أحيانا أقوم بتسجيل صوت المطر في هاتفي الأحمر الصغير، إنه يساعدني على الاسترخاء والنوم.

تلك الليلة انقطع التيار الكهرباء، بسبب العاصفة، لذا خلدت للنوم لأنه يتوجب عليَّ الذهاب غدا للمدرسة.

في الصباح استيقظت من النوم، واستعددت للذهاب للمدرسة فأنا في الصف التاسع الآن، اتجهت إلى المدرسة سيراً على الأقدام.

مر يومي الدراسي على نحو عادي حتى حصة الجغرافيا، أكثر ما أكره، دخلت المعلمة التي لم ير ابتسامتها أي كائن حي، غضبها الدائم جعل ملامحها عابسة طوال الوقت.

-أخرجوا الواجب على الطاولات.

ماذا واجب (قلت، و أنا أحدث فرح)، هنا علمت أن هناك واجباً بين كومة الورق هذه لم أقم بحله، لذا عليك يا نفسي الاستعداد لأسوء العقوبات.

أخذت السيدة عبسي (أو هذا ما نسميها به) كتابي، وفتحته ثم قالت: أحسنت.

ماذا، أحسنت، هذا أكيد هدوء ما قبل العاصفة، لقد انتهى أمري.

أمسكت الكتاب وإذا بالواجب محلول، لكن كيف؟ هذا ليس خطي حتى!

بعد الدرس سألت زميلاتي واحدة تلوى الأخرى (من التي حلت الواجب في كتابي؟) لكن نفس الجواب دائما... (لست أنا، لا أعلم).

هنا كان قد حان موعد الاستراحة، جاءت فرح من خارج الفصل تقول: سوزان، راما سقطت على الدرج وهي تبكي.

-ماذا! أنا قادمه.

حسناً، المفاجأة، (مقلب) صرخت كلتاهما.

-ها! تعلمين أنني كدت أختنق من الخوف!

-هيا لا تأخذي على خاطرك.

-نعم إنها مجرد مزحة سوزي.

تنهدت تنهدتا طويلة أفرغ بها غضبي وصدمتي وخوفي، ثم جلسنا، وتحدثنا وكأن شيئاً لم يكن.

***

# الفصل الثاني

# أدواتي المرتبة

انتهى وقت الاستراحة لذا عدت للصف مع فرح بينما كانت راما في صف آخر.

عدت على مقعدي، وإذا بأدواتي، أقلامي، كتبي ليست هناك، ببساطة اختفت.

- فرح هل رايتي أشيائي؟

- لا، ابحثي في حقيبتك.

- ماذا أنا الآنسة فوضوية أشيائي في حقيبتي، حسنا سأبحث لكن لا أظن هذا.

والمفاجأة التالية لليوم هي: أشيائي في حقيبتي، وهي مرتبة.

حقيبتي كانت كثيرة الجيب والسحابات، لكن كنت أضع كل شيء في جيب واحد، هذه المرة أشيائي كانت مرتبة.

الكتب في الجيب الكبير، والدفاتر في الوســط، حتى أقلامي التي ســمعت عن وجود مقلمة في مكان ما في الحقيبة، وهي تعلم أنها لم ولن تدخلها كانت هناك، مرتبة في المقلمة.

-فرح كفي عن المقالب ...

- غبـائـك ليس ذنبي، حتى أنـك ظننـت أن رامـا تبكي وهي تضحك.

كنت مصدومة هل هي حقًا لم تفعلها أو أنها تتظاهر؟

-هل من مقالب أخرى؟؟

- لا، ليس لدي هذا المزاج.

-حسناً لا تنعتيني بالغبية، كنت خائفة وحسب.

ظللت أفكر فيما حدث، من التي تبرعت بفعل كل هذا.

أم أن الخرف قد أصاب دماغي فصرت أنسى.

من يدري!

***

# الفصل الثالث

## الرؤيا والمرآة

مضى على تلك المواقف أسبوعين تقريباً قبل أن أرى ذلك الكابوس المرعب.

استيقظت وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبةٍ، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقرأت الأذكار حتى اطمأن قلبي وعدت للنوم بعدها.

يومها ذهبت إلى المدرسة، وأنا مرعوبة، خاصة وأني من النوع الذي تتحقق رؤياه، لذا لم أملك الجرأة لتفسيره.

أخبرت فرح بما حدث، أخبرتها أني أشعر أن الأمر له علاقة بالأمور السابقة، تذكرت فجأةً المرآة التي معي، كنتُ من النوع الذي ينظر إلى المرآة مررا وتكراراً على نحو ملحوظ، وطالما أخبرتني زميلاتي بالكف عن هذا محذرين من أنني قد أصاب بالجنون أو يظهر لي قريني.

بطبيعة الحال لم آخذ الأمر على محمل الجد، لكن دب فيَّ الخوف فجاه، ودفعني لرميها في سلة المهملات، بعد رميها لم يعد لي الشعور بالأمان لذا عدت لسلة المهملات وكسرتها.

ما إن سمعت البنات صوت كسر الزجاج حتى بدأن بالصراخ ونعتي بالمجنونة، لكن لم يوقفني ذلك بينما فرح كانت تنظر من بعيد بصمت لأنها تعلم سبب فعلي هذا دون غيرها من البنات.

لم يلبث شعور الأمان في قلبي طويلاً قبل أن يستبدل مكانه الغضب لما سارعت (جمان)، وهي أكثر شخص أجزم أن هناك نوع من الاضطرابات في دماغها إلى سلت المهملات، أخذت تأكل بقايا الزجاج الصغير، وتجرح الشريان الذي بيدها بالقطع الكبيرة.

ظناً منها أن هذا سيكسبها الهيبة والقوة، في الواقع لم تجد سوى الإهانات والنقد جنباً إلى جنب الصراخ من بقية الزميلات، وهن يحاولن إيقافها، لكنها توقفت بالفعل بعدما رأت الدمَ يخرج من، بسبب الجروح، ليس من الغريب أن تجرح فمك عندما تبتلع الزجاج.

كما تسبب الجرح بيدها بإغمائها ونقلها للمستشفى، وما يثبت أن لديها اضطراباً بدماغها هو أن هذه ليست المرة الأولى التي تؤذي بها نفسها.

ناهيك عن أنها تفعل ذلك بكامل إرادتها.

***

# الفصل الرابع

# على طريق السفر

حدث هذا في العطلة الصـيفية، عندما قرروالدي فجأةً أن نسـافرخارج العاصـمة، الغريب بالموضـوع أنني وحسـب ما أعلم أن ما يجنيه أبي من الدكان لا يكفي لأخذنا للسـفر، لكن من الذي سيضيع على نفسه فرصة كهذه؟

بالتأكيد ليس أنا ...

أنـا حقـا لم أخرج من هـذه المـدينـة منـذ ولادتي، أحفظ شـوارعها وطرقها عن ظهرقلب، شـوارعها بصـوت السـعادة في جميع المواسـم التي تطلب التهاني، وتعلوها روح التكاتف والمسـاندة عندما يدنو الحزن على بيت أحدهم بمختلف أعذاره.

ما يميزها هو رائحة الشوارع بعد المطر...

تشعرني هذه الرائحة أنني أنتمي إلى شوارع هذه المدينة، وأن دنياي لا تزال بخير، وأن الطيورلن تتوقف عن عزف ألحانه الفاتنة.

لكن على ما يبدوا سوف نرى سحر مدينة أخرى، بالنسبة إلى مدينتنا هي جارتها وأختها.

ركبنا حافلة النقل الجماعي، وطبعاً دلوعة والديها أنا ستجلس قرب النافذة لتبرم صَفْقَتَا مع هاتفها الأحمر الصغير بأن تلتقط الصور على طول الطريق مقابل أن تضعه في الشاحن لا أكثر.

هي ليست مجبرة على إعطائه شيئاً مقابل عمله غير حقه في الشحن، بالنسبة إليها هذه هي العدالة بحق هاتفها.

كنا قد ركبنا في الحافلة متجهين إلى المدينة المنشودة، وعلى ما يبدو لا يرغب كثيرون في قصد هذه المدينة، مع أنها الإجازة.

كان عدد ركاب الحافلة ستٌ عدا السائق أنا ووالداي وثلاث نساء فقط.

اضطررنا للتوقف في إحدى الاستراحات على جانب الطريق، كانت عبارة عن مسجد ودورات مياه بقربه، في وسط أرض خالية تمام يسودها لون الرمال الذهبي، وعلى مد النظر هناك مزرعة تبعد عنا كيلو متر واحد على الأقل.

نزلت قبل الجميع من الحافلة متجهةً إلى دورات المياه، كانت الأنوار مطفأةٌ لذا ضغطت مفتاح التشغيل لتعمل.

توضـــأت وخرجت بالتجاه المصـــلى ومرة أخرى أشـــعلت الأضواء في المكان.

ما إن بدأت أصلي حتى انطفأت الأنوار لحسن الحظ أنه كان وقت الظهر، مما سمح بدخول أشعت الشمس لتقوم بإنقاذ الموقف.

مـا إن انتهيـت حتى اتجهـت إلى البـاب لأخرج إذا والـداي يدخلان، أمرني أبي أن أشـعل الضـوء، المفاجأة هي أن هناك من إطفاء الأزرار، لم يكن عطلاً كما ظننت، شعرت بالرعشة تحتل كامل جسدي حينها.

عندما عدنا إلى الحافلة رأيت رجلا على الضـــفة الأخرى للطريق، الغريب أن هذا الطريق يتعرض للشـــمس والرياح فقط بالكاد تسير سيارة من هنا.

-أبي هل هو راكب معنا؟

-لا، استغرب وجوده هنا!!

-هل جاء من المزرعة؟

- ربما، من يدري؟

صـــعدت الحافلة وذهبت إلى مقعدي، نظرة في النافذة، لم أجد الرجل ...

هل ذهب؟ هل جاءت سيارةٌ أخذته...

أقسم أنه لم يمر أحد من هنا ...

أخبرت أبي، فقال: من المرجح أن يكون من الجن، لا أستغرب أمراً كهذا على طريق السفر.

طبعا كالعادة ما يقوله أبي هو الصحيح، لذا عدت إلى هاتفي لنكمل ما بدأناه أول الرحلة.

***

# الفصل الخامس

# نازوس[1]

مع أن المدينة التي سافرنا إليها لم تستطع الحصول على أكثر من خمسة أيام لتسحرني لكنها نجحت وبقوة، غير أن معزة مدينتي لم ولن يأخذ مكانها أحد، وعلى بقية المدن الاستسلام لهذا الأمر.

طلبت من أمي أن أشتري بعض الهدايا لفرح وراما أعطيهم إياه عند عودتي كتذكار، وكالعادة شيء ما يرسل تنبيهاً لأدمغتهم لأرى مكالمة هاتفية من راما.

كانت تدعون لحفلٍ أقامته أختها لأنها وضعت طفلةً حديثا، حينها قفزة لرأسي فكرة أن أشتري لهما فساتين نلبسهم في الحفلة، ما هو لونها؟ سينتصر الأحمر كالعادة قبل أن أبدأ بالتفكير، وهذا من الأمور المسلمةِ أيضاً.

[1] (nazus) هي كلمة لا تبنيه تعني (أنوف) أي أبي النفس ن كريم الأصل، نبيل. لكن المقصود بها هنا أنها انعكاس ترتيب أحرف كلمة كلمة سوزان.

رجعنا إلى العاصمة بعد خمسة أيام من تركها، لا بدَّ، وأنها اشتاقت إلينا أو على الأقل أنا من اشتاق إليها.

في اليوم الذي تلا يوم عودتنا قررت أمي الذهاب لأقاربنا، وبينما كانت تخرج الهدايا التي أحضرتها لهم دخلتُ غرفتها:

-أمي الحلوة...

- آهٍ من هذه النبرة...

مرةً أخرى تقرأ أمي أفكاري، وتعلم أنني أريد شيئا، لولا أنها تريد أن تحافظ على سلامة عقلي لكانت أخبرتني بما أريد ورأيها بالموضوع، وتحسب أنني لا أعلم أنها تمتلك مثل هذه القوة الخارقة، في الواقع ليست هي وحسب، بل معظم الأمهات.

- أريد أن أحضر راما وفرح للمنزل لأعطيهم الفساتين في أثناء غيابك بما أن مصيري بعدم الذهاب معك قد تقرر فعلا...

- حسنا لا مشكلة، اذهبي لدكان والدك، وأحضري بعض الحلوى والأطعمة التي تحبينها أنت وصديقاتك.

- كنت أعلم أن أمي هي أحسن أم بالدنيا كلها ...

- نعم نعم ...

عانقتها وذهبت أجري لأخرج من المنزل، وأذهب إلى أبي، وهنا وكالعادة ستبدأ مسرحيةٌ مشبعة باللطافة.

وجدت أبي مع جارِنا العم أبو صالح كعادتهم جالسين عند باب الدكان يلعبون الشطرنج في محاولة كل واحدٍ منهم الانتصار على الآخر للمرة المئة بعد المليون، وهم يحتسون الشاي الذي يقدمه أحمد لهم ...

- عمي أبو صالح اهزم أبي بسرعة ...

- هيه، نعم نعم فوالدك لديه أحمد ليشجعه أما أنا ليس لدي أحد.

- ماذا، ابنتي تشجع خصمي لا والله، خذ كش ملك...

- على ما يبدو أن ابنتك جاءت لتشتت انتباهي بدل تشجيعي...

- لقد خيبت ظني يا عمي ...

- صحيح، لماذا أنت هنا يا ابنتي؟

- هذا دكان والدي ألا يحق لي المجيء متى شئت ...

- بلا بلا يحق لك ...

- إذا يحق لي أيضا أخذ بعض الحلوى، أليس كذلك؟

- كان يجب أن أعلم أن ابنتي أتت لأخذ الحلوى، وليس لأنها مشتاقه لأبيها، حسنا، أحمد تعال ساعد سوزان بأخذ ما تريده.

- حاضر معلمي ...

- شكرا أبي.

كان أحمد هو الفتى الذي يعمل في دكان أبي على الرغم من صغر سنه إنه يكبرني بعامين فقط، لكنه اضطر إلى العمل بعد وفاة والده منذ عام، لا سيما أن والدته مقعده، كان العم أبو صالح يحبه مثل ابنه لكن أحمد من النوع الذي يحب الاعتماد على نفسه لذا رفض كل مساعدات الجيران لينتهي به المطاف في هذا الدكان الصغير الذي يملكه والدي.

- ماذا تريدين يا سوزان؟

- ثلاثة أكياس من رقائق البطاطا الحار وثلاث حبات من المثلجات بطعم الشوكولاتة وبعض حلوى الجيلاتين بالإضافة إلى الشَّابورة وأصابع البسكويت المملحة.

- يبدو أن ضيوفا مهمين سيأتون لزيارتك.

- نعم، لقد أصبت.

- حسنا هذا ما طلبته، بالهناء والعافية.

- شكرا لك

- أسرعي للمنزل قبل أن تذوب المثلجات.

- نعم، شكرًا لك.

عدت إلى المنزل، وجهزت مكاناً لنجلس فيه، وصنعت الشاي الأحمر الذي يتغزل الجميع به وبطعمه.

وقبل خروج أمي وصلتا فرح ورما، وهنا بالطبع وكأي مرة تخرج بها أمي تكرر نفس الأوامر (لا تفتحي الباب للغرباء لا تشعلي النار في المطبخ، ولا تخرجوا من المنزل قبل عودتي، ولا ولا ... إلخ)، مع أنني كبرت على هذه التعاليم التي أحفظها

منذ نعومة أظفاري لكن هذا لا يثبت لي سوى أن أمي تحبني، وتخاف علي...

تبادلنا الحديث والمفاجآت.

أنا فجأتهم بالفساتين، وقد أعجبتهم، وقررنا ارتداءها بعد غد في الحفل.

وهما بدورهما فاجآني بأنهم سينتقلون خارج المدينة، لم أستغرب هذا فمجال عمل والديهما متشابه لذا إن أضطر أحدهم إلى الانتقال سيكون الثاني على هذا الحال أيضا ...

احتجت الذهاب للحمام، وفي أثناء غسل يدي رفعت نظري للمرآة لأرى انعكاسي ينظر إليي متكتفًا لتنطلق صرخة قوية تهز حبالي الصوتية ...

أسرعت إلي فرح وراما كرد فعلٍ طبيعي عندما سمعوا صراخي، وقد كنت بالكادي ألتقط أنفاسي حتى أنني بدأت أشعر بالسباق بين نبضات قلبي بعدما حسبوا صراخي صافرةً للانطلاق.

-ما الذي حدث؟

- رأيت صرصاراً.

- صرصار؟ على حد علمي أنت لا تخافي من الصراصير؟

-لقد قفزفي وجهي، هل أنت هنا لتهدئتي أم للسخرية مني؟

- آسفه، هيا استعيذِ بالله، واشربي بعض الماء لتهدئي ...

لم أشأ إخافتهن، وقد يكون دماغي هو من أوهم لي هذا، على كلن لم أملك الجرأة للنظرفي المرأة بعدها.

حتى عند حضور الحفل اعتمدت على عيني والدتي في ترتيب هندامي.

عند عودتي من الحفل كنت في قمة التعب لقد استهلكت السعادة كل طاقتي الجسمية على عكس روحي التي شحنت لأقصى درجة.

رأيت في منامي تلك الليلة نفسي تقول لي: أنت سوزان و أنا نازوس. لاستيقظ بعدها فزعه ...

حاولت إيجاد تفسير لما يحدث لكن بمجرد التفكير بالأمر يبدأ عقلي بالتشويش، ولا أستطيع الوصول لأي شيء ...

الأمر برمته مخيف ...

***

# الفصل السادس

# الكابوس

الكثير من الناس يجرون ...

الجميع يرتدي قمصان بيضاء ملطخة بالتراب...

الجميع يجري...

و أنا أجري معهم ...

وجدت نفسي أمام باب حمام، فجأةً دفعني أحد ما داخله ...

وأغلق الباب...

بدأ ثوبي يتلطخ بالدماء ...

لكن من أين تأتي؟

استطعت الخروج بصعوبة...

أخبرني أحدهم أن القائد هناك في أرض الحقول ...

عندما ذهبت وجدت رجلاً ضخماً ملابسه سوداء في وسط أرض خضراء شاسعة...

ناداني، فدنوت من كرسيه الذي بحجم مبنى سكني ...

قال: هل تريدين أن تعرفي؟

أومأت رأسي بنعم...

ثم ركل فتاة بجانبي تشبهني كثيراً، وركلني معها...

استيقظت بأنفاس متقطعة...

مفزوعة...

استعذت بالله من الشيطان الرجيم، ونهضت من سريري... فعلى كل حال اقترب الصباح، ولا رغبة لي بالنوم ...

أخذت أسرح شعري أمام المرآة فتوقف انعكاسي فجأةً عن تتبع أفعالي، ووقف ساكناً!

ابتلعت ريقي خوفاً...

نظر إليَّ انعكاسي، وقد علت تعابير الحزن والانكسار عليه، ومن ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وبصعوبة...

كان الخوف سيد الموقف ...

لا بدَّ أنني لا أزال أحلم ...

قاطع صـــوتي الذي لم أنطقه أفكاري، وقد كان صـــادراً عن انعكاسي ...

شعرت بأطرافي تتجمد حينها، لم أستطع الصراخ أو الهرب أو البكاء أو الكلام ...

لم أستطع حتى إغلاق عينيّ ...

-لا تخافي لن أوذيك، أنا قرينك واســـمي نازوس، اســـمي هو عكس اسمك يا سوزان...

تابع:

أرجوكِ لا تخافي، سأختفي وأعود بعد أن تهدئي ...

اتفقنا...

ثم اختفى وعاد انعكاسي طبيعياً...
لم أجرؤ على النظر في المرآة مرة أخرى...
لقد تمكن الخوف مني تمام.

**هذا ليس خوفًا طبيعيًا...**

**أنا أتخشب في مكاني رعبًا!**

***

# الفصل السابع

# اللقاء

استطعت بعد بضع دقائق حسبتها دهرا الحراك وأخذ نفس...

أخذت مصحفي لأقرأ القرآن كي أهدأ.

إذا بصوت الأذان يعلو ليدخل الطمأنينة في قلبي.

ارتحت، وذهبت أتوضأ استعدادا للصلاة، سكينة ملئت قلبي، ارتحت بعد الصلاة كثيرا، من لا يرتاح وقد وقف للتو بين يدي الذي وكل له أمره، وأخلص له قلبه، من لا يرتاح وهو يعلم أن الله يراه، يسمعه ويسانده، إنما الإسلام نعمه عظيمة حقا توجب علينا الشكر.

لم ألبث كثيرا قبل أن تتجول الأسئلة في رأسي الصغير، لماذا حدث هذا؟ هل يعقل أنه قد مسني سحر؟ أم أنا مسكونة بالجن؟

لو كان صحيحا لن أستطيع التحكم في ذاتي...

هل أنا أتوهم؟

هاجمتني مئة فكرة وفكرة

رفعت عيني للمرآة لأتأكد، إذا بانعكاسي يظهر ثانية

قال: هل هدأت؟

قال لي و أنا خائفة أرتجف:

- أريد إخبارك أمرا، لكن بما أنك خائفة ســأترك لك كتابا، اقرئيه، وبعد أن تهدئي سأعود، اتفقنا؟ لا تقلقي، لن أؤذيك.

ثم عاد كل شيء إلى طبيعته، تقريبًا، إلا عقلي...

"هل أقرؤه؟! هل أنا أحلم، كل شــيء بدا و اقعيًا، ما الذي يحدث؟"

هنا كان الفضــول هذه المرة هو ســيدُ الفعل، اتجهت نحو الكتاب، تعجبت...

صفحاته خالية تماما، ماذا يعني هذا؟

هنا ذهب الخوف تماما، ليسيطر الفضول، الفضول فقط، لا شيء غير الفضول.

بدأ الفضول يَجُرني شيئا فشيئا حتى أغرقني في بحر الأسئلة، لم يقطع أسئلتي سوى طرق الباب.

- مَن؟

أنا ناموس، هل هدئت؟

أخذت نفسا عميقا و أنا أقول في نفسي مهما سيحدث علي مواجهته وفهم ما يجرِ.

- نعم (أحيانا كثيرة يقرر الفضول بدل الدماغ، أو بدل القلب).

قالت بصوت هادئ:

هل لي أن أتحدث؟

أومأت رأسي بنعم.

قالت: أريد أن أوضح سبب رؤيتك لي، لا تقلقي أرجوك...

أنت فقط يمكنك رؤيتي.

أسهمت في الحديث تقول:

أنا نازوس، قرينك، قبل أي شيء سأخبرك أنني عكسك في كل شيء تقريبا، اسمك طباعك، أحب ما تكرهين و أكره ما تحبين، أجيد ما تفشلين به و أفشل فيما تجيدينه.

وهذا شيء من أصلي ولا حول ولا قوة لي به.

تابعت:

الأمر المشترك بيننا هو أن كلانا مسالم، لا يحب إيذاء غيره، وهذا ما تسبب بطردي من بني قومي.

أنا قرين يفعل عكس ما تفعلينه، كأي قرين آخر، أن أكون قرينا يفكرويقرروحده عليك قبولي في عالمك.

فقط أنت من يمكنه رؤيتي وسماعي، لكن حتى أفتك من عذاب قومي عليك أن تو افقي على استقلالي في عالمك، شرط ألا تخافين مني أو يلبسك شكٌ في، أتفهمنَ قولي؟

أتفهمين قولي

بدت لي صادقة جدا سألتها: ماذا لو تأذيت مما قد يحدث؟

- أنت يمكنك التحكم في أفعالي، عندما تريدين مني التوقف والاختفاء أو عدم فعل شيء ما أو فعله، هكذا يسير الأمر.

- لقد فهمت، أنت تحت إرادتي، صحيح؟

- نعم تماما.

- حسنا، طالما لن أتأذى.

- أنا حقا شاكرة لك. (قلتها بترددٍ وخجل)

- لا عليك.

اعتلى وجهها ابتسامة جميلة...

أو أن كل الابتسامات الصادقة جميلة، لا يهم.

كنت أفكر أنها قد تبقى معي إلى الأبد، ليس كما يحدث مع البشر، خصوصا أني ذقت الفراق مرتين، مرة توفيت صديقتي في حريق مأساوي، والآن كل من فرح وراما ستغادران، شعرت بصدقها، شعرت أنني قرأت أفكرها، فهمتها، ربما أنا فعلا أحببتها!

لا أعلم إذا ما كنت سأندم على هذا يوما، لكن لنقل إنني سأعيش هذه اللحظة...

مر اليوم بصـــورة عـاديـة جـدا، لم تظهر نـازوس مرة أخرى يومها.

زاد على ذلك أنني كنت سعيدة في كينونتي.

***

# الفصل الثامن

# السيد الكبير

عندما عدت اليوم إلى المنزل كانت أمي كعادتها تستقبلني بحفاوة، بابتسامة لطيفة مغلفة بالمحبة...

المختلف هذه المرة أن ناموسا كانت تستقبلني معها وهي تضحك بطريقه عفوية، كنت أعلم أن أمي لا تسمعها ولا تراها، هذا أيضا كان واضحا على وجه نازوس الساخر حينها...

أما في الليل عندما قررت إعادة شحن دماغي وجسدي الهالكين من فرط التعب، ورميت بي على سريري ثم شددت لحافي الناعم إلى وجهي مقررتا النوم، لأرى عينين رماديتين جميلتين لامعتين كعيني تحدق بي...

ماذا تريدين لقد أخفتني!

- أريد أخبارك بأمر

- ما هو هذه المرة؟ إنه أول يوم لك وهذا طلبك الثاني

- كيف عرفت أن عندي طلبا؟

- ورثت ذلك عن أمي

- حسنا ألم تقولي إنك مو افقة على انتقالي لعالم؟

- حسنا أين المشكلة في هذا؟

- عليك أن تخبري سيد قومي بنفسك...

قلت ساخرة وقد وقفت أمامها ومددت ذراعي للأمام وأغمضت عيني: هيا، لأتحول إلى جان لأخبره.

صرخت:

- آه! ليس هذا، كل ما عليك النوم وسترينه في حلمك.

- لن يؤثر هذا علي صحيح؟

- انه كأي حلم آخر، لن يؤثر عليك أو على طاقتك.

- أجهل سبب وثوقي بك لكن علي النوم في جميع الأحوال

- أنت حقا... حقا ماكرة!

تصبحين على خير

- حسنا، تصبحين على خير، سآتي بعد أن تستيقظي.

إنه نفس الحلم الذي رأيته آخر مرة، المختلف هذه المرة أنه قال لي: هل أنت موافقة على انتقال نازوس إلى عالمك؟

وكالحلم السابق أومأت رأسي بنعم ثم ركلني، هذه المرة أعلم من هي الفتاة التي ركلها معي إنها نازوس.

بعد أن استيقظت وجدت نازوس أمامي: استيقظت؟ صباح الخير.

- صباح النوروالسرور، صباح مزين برائحة البخور، صباح غرد به العصفور... هل هذا مجرد حلم، أشعر أن ظهري تحطم فعلا!

ما هو ذنبي إذا كنتي قد نمت في وضعية خاطئة!

- هل فعلت؟

- لما سأكذب؟

- لحظه هل كنتي تراقبينني؟

- ما الذي سأفعله لم يسمحوا لي بالعودة، لا تقلقي من الآن فصاعدا سأفعل كما يفعل البشر، وسأتمكن من النوم.

- أخشى أنك ستقعين في فخه.

- هل للنوم فخاخ؟

نعم، غالبا ما تكثر أيام الشتاء

- علي الحذر إذا.

- نعم عليك الحذر

- كيف أتجنب الوقوع بها؟

- كفي عن الثرثرة الآن، أنت تتحدثين منذ استيقاظي وها أنا الآن على وشك الخروج للمدرسة، سأعلمك كل شيء عن حياة الإنسان، لا تقلقي، مع أني لا أظن أنك ستحتاجينها؟

- انظري لنفسك أنت من يثرثر الآن

أغلقت بابا المنزل إذا هي خرجت معي.

- ماذا الآن، ماذا تفعلين؟

- برأيك هل سوف أبقى في المنزل؟ سآتي معك طبعا.

- إياك أن تقومي بأي شيء يلفت الانتباه، حسنا..

بصـــراحة لقد أنقذتني نازوس اليوم، كان لدينا اختبارا مفاجئا ولم أكن مســتعدة، لذا ذهبت إلى مكتب المعلمة وجاءت تخبرني بالإجابات، لأحصل بعدها على أفضل علامة بالرياضيات، ويا للروعة.

- على فكره لن أغششك ثانية.

- أسفه جدا، أنا نفسي لن أفعل، أعدك.

- هذا ينافي مبادئك.

- آسفة، آسفة، لن يتكرر.

- حســنا لكن عليك إحضــار تلك الأقراص المقرمشــة التي أحضر لك أبوك منها أمس.

- حسنا سنمر بالدكان عند عودتنا أطلب من أحمد إعطاءها لي، أيضا اسمه رقائق البطاطا، هل هذا يرضيك؟

- نعم، تمام التمام.

أخذنا نضحك، إنه يومها الثاني وهذا أول شجار بيننا، حتى أنها بدأت تحاضرني.

قلة ما تصادف في حياتي شجارات ودية لطيفة كهذه، لهذا على أن أستغل الفرص دائما.

***

# الفصل التاسع

## شريكة في السكن

مرة ثلاث سنوات منذ ظهور نازوس و انتقالها إلى حياتي، كانت صحبتنا رائعة، كانت تنقذني في كثير من الأحيان سواء في المدرسة أوفي المنزل مع والدي، أنا حقا ممتنة لوجودها معي خصوصا أنني لم أقوى على تكوين أي علاقات في المرحلة الثانوية، لذا كانت هي من يؤنسني، من يشاركني فرحتي وحزني، وتذهب عني خوفي، أنا حقا شاكرة لها.

هذه الفترة كان علي الانتقال إلى مدينة أخرى فيها الكلية التي سأدرس بها، فأنا في مرحلة انتقال من سوزان المدللة التي تعتمد في أبسط أمورها على أبويها، إلى سوزان التي تعتمد على نفسها في مواجهة رياح الحياة العاصفة من جميع الاتجاهات.

من قوانين هذه الحياة إما أن أحطم عنادها وقسوتها لأحقق أهدافي أو أن تحطمني هي لتجبرني على ترك أحلامي

وما خلقت لأجله، مع هذا لا أظن أن للسعادة طعمًا نستلذ به ما لم نذق طعم المرارة.

أو ستصبح السعادة شيء نعتاد عليه لنمر منها مرور الكرام بلا مبالاة، أعتقد أن هذا واحد من سنن الحياة الجميلة التي أودعها الله في الأرض.

أخذت نفسًا عميقًا بعد ما ودعت زهرتا الزنبق الجميل والداي، وقطرات الندى جيراني، ودعت رائحة القهوة التي تفوح من جدران منزلي، ورائحة الشوكولاتة من جدران غرفاتي.

ودعت أشجار الجوري والياسمين التي غطت جدران الحي، ودعت ضحكة كش ملك، ودعت الجمال لأركب بسيارة تنقلني للمطار لم ير افقني شيء سوى حقيبتي التي تكدست الأقلام والأوراق داخلها تاركتا حيزا صغيرا للملابس والحلوى وصورة لسوزي الصغير مع زهرتي الزنبق، ومعي نازوس التي لن أتركها ورائي لأي كان.

وطبعا تذكرة واحدة لشخصين، أنا ونازوس، لن أشتري تذكرتًا لشبح لا يعلم بوجوده سوى بشري واحد، وبالطبع لن

أطر للتململ وحدي، بل ستتململ نازوس معي كالعادة لنضاعف حجم الملل مرتين.

- وصلنا مقعدي

- سأجلس قرب النافذة

لم أحجز لك حتى.

- هيا انظري لرقم مقعدك إنه ليس المقعد الذي بقرب النافذة.

- أستسلم

- من قال إنني لن أكون كريمة على نفسي، ولن أبدلك مقعدي.

- أعتذريا أم حاتم البخيلة، لن أساومك على عرش بلقيس هذا.

- نعم، طبعا...

لحسن الحظ لم يكن أحد قد حجز ذلك الكرسي الذي تجلس عليه نازوس، ولسوء حظي وقعت نازوس كالعادة في

فخ النوم، مما جعلني محطة للفت أنظار من في الطائرة، لأني كنت أوقظ لا شيء عند وصولنا.

بعدها وصلنا السكن الجامعي وكالعادة استولت نازوس على السرير الذي أعجبها، كنت أعلم أنه ملك لأحدهم لكني لم أخبرها، فلتعش تلك اللحظة كما تريد حتى وصول صاحبته.

كنت منهكة من السفر لذا خلدت للنوم بسرعة دون أن أرتب حاجياتي على المكتب أو في الخزانة.

سوزي استيقظي هل ستبقين نائمة طوال النهار؟ لقد فاتك صوت زقزقة العصافير في الصباح، كما أن المكان جميل هنا، انظري يوجد نوافذ كبير لنرى منها السماء والنجوم.

سوزي، سوزي، يا إلهي حرارتك مرتفعة، ماذا أفعل؟

- أعطني هاتفي من الحقيبة أرجوك...

بينما هي تحمله لي، دخلت فتاة للغرفة، على ما يبدو أنها هي شريكتي في الغرفة.

أوقعت نازوس الهاتف، الفتاة لن ترى نازوس، هي فقط سترى هاتفا يحلق بحرية، لحسن الحظ لم تنتبه لهذا.

- مرحبا هذه غرفة رقم 301 صحيح

- نعم هي

- أنا أسكن هنا

- تفضلي، آسفه، لكن هلا ناولتني هاتفي رجاء؟

- آه طبعا... يا إلهي حرارتك مرتفعة منذ متى و أنت بهذه الحالة؟ هيا سأساعدك بالذهاب للمستوصف.

***

# الفصل العاشر

كيف يعقل هذا؟

أخذتني للطوارئ، وهناك تمت معالجتي، لم يكن إلا إرهاقا بسبب السفر.

الممرضة: سآخذ بعض المعلومات عنك...

- حسنا

- اسمك

- سوزان حمزة

- العمر

- تسعة عشر عاما

- رقم غرفتك في السكن

- 301

- أرجوك سجلي رقم هاتفك هنا...

- حسنا

- شكرا لك، يمكنك الآن التوجه للصيدلية لصرف الدواء

- حسنا، شكرا لك

- على الرحب والسعة أتمنى أن تتحسني سريعا.

بعدها أخذتني إلى الصيدلية وفي عودتنا شكرتها ثم قالت:

- هل أنت حقا سوزان حمزة؟

- نعم، و أنت ما اسمك؟

- ألم تتعرفي علي!!

كانت فتاة متوسطة الطول، شعرها البني القصيرلم يتجاوز حد ذقنها وقد امتلأ بتعرجات جميلة ر افقها نفشـــه لطيفة، تضـــع نظارات ســـوداء ســـميكة، كما امتلأ وجهها بالنمش، بدت لي كشخصية خجولة من النوع المثقف أو الأحمق، كان يوجد على رقبتها ندوب كأنها آثار حرق قديم غطتها بياقة قميصها.

ابتسمت وقلت لها: أنت حقا تشبهين شخصًا، أعرفه لكنها توفيت في حريق قبل ست سنوات.

- توفيت؟

قالتها ثم ضحكت.

قلت حينها: هل أعرفك؟

- أدعى نسرين محمود، اممم هل تذكرين الآن؟

- كيف يعقل هذا، صديقتي التي توفيت في الحريق كانت تدعى نسرين أيضان إنها صديقة طفولتي!

- مهلا هل تلك الفتاة هي أنا؟ رائع، الناس تحيي وتميت كيفما شاءت.

- هل أنت حقا نسرين؟

- نعم، لقد نجوت من ذلك الحريق بفضل الله، بعد أن حاصرتني النيران في الفصل قفزت من النافذة، كان علي الاختيار أن أموت مشويتا أو أن أقفز من النافذة مع احتمال ضئيل بالنجاة، بت في المستشفى شهران لأداوي الكسور الناجمة عن قفزة الحياة تلك، تركت النار بعض الآثار على جسدي كذكرى أتذكر فيها أن الله قد وهب لي في لحظة قفزي فرصة أخرى في الحياة، لك أن تتخيلي فتاة لم تتجاوز الاثني

عشـرة عاما تقفز من الطابق الثاني، شـجاعتي وقتها معجزة بحد ذاتها...

- أنت حقا سيرين، أنت هي...

حضنتها وقد انهمرت دموعي لتكون أشبه بنهر جارٍ على خدي.

- لماذا لم تخبريني، لماذا لم تعودي للمدرسـة، لقد حسـبك الجميع ميتة...

قلت لها معاتبه...

- لم تقيموا لي جنازة صحيح؟ انتقلت لمدرسـة أخرى بعد أن نصح طبيبي النفسي والداي بهذا إثر صدمتي من الحادثة.

حسـنا كفاك بكاء الآن سـيزداد حالك سـوءا على هذا المنوال...

- سيرين

رأيت هناك من بعيد دموع نازوس تلمع على وجنتيها، سيرين لم تفقد روحها الجميلة لم تتغير...

نازوس: سوزي...

- نعم

- سأخبرك بشيء

- ما هو؟

- بالأمس تأثرت بما حدث لك مع سيرين حتى بكيت.

- والمطلوب...

- عيني دمعتا، و أنا مخلوق لا يملك دموعا

- والمعنى

- أنا أمتلك مشـــاعر، يمكنني الإحســـاس، مثلك، مثل كل البشر.

-حقًا!

كانت ســـعيدة جدًا حتى أنها كانت تقفز في الهواء. أخبرتني ســـيرين مع الأيـام أن طبيبهـا المشـــرف على حـالتهـا أمرهـا بالابتعاد عن كل شـــيء يذكرها بالحادثة بما في ذلك أنا، مما جعـل والـداهـا ينتقلان لمـدينـة أخرى، لكنهـا تخلصـــت من

صـــدمتها بعد عام كامل، حاولت الوصـــول إلى لا كنها لم تجدني كما أن ملامح العاصـــمة تغيرت كثيرا، بعدها ردعها والـداهـا عن إكمـال البحـث خوفـا من أن تعود لهـا آثـار الصـدمة. يبقى موضـوع أن شـخصـا أمته في عقلك، يعود ليقف أمامك يخاطبك ويتعامل معك، أمر مهيب لا يزيدك سوى إيمان بالله.

***

# الفصل الحادي عشر

## كالمطر غزيرا!

حتى الآن مضى شهر على قدومي إلى هنا لقد تهت حقا بين المحاضرات.

سوزان: لماذا على الإنسان تحمل كل هذا التعب؟ أنا حقا مرهقه.

نازوس: نحن هنا منذ شهر واحد بالفعل وقد بدأت بالتذمر، لا يزال في مسيرتك ثلاث سنوات على الأقل غير هذه وقد بدأت بالتذمر فعلا، ما هذا الكسل...

- أنت لا تشعرين بي، تجلسين طوال اليوم كالمزهرية، أنت حتى لا تحملين الزهور.

- سوزان مع من تتحدثين...؟

دخلت سيرين الغرفة ثم قالت: من هذه، هل هي صديقة لا أعرفها؟ إنها تشبهك كثيرا كأنكما توأم!

هي لا تعلم أننا إنسان وقرينه، نظرت لنازوس نظرة استغراب وقد خطرة لنا نفس الفكرة (هل رأت نازوس للتو؟)

رفعت نازوس فنجان الشـــاي وهي تنظر لسـيرين نظرة مريبة فعلا، كانت تريد التأكد مما يحدث.

نظرت لنازوس وقد احتل التوتر وجهها في ذهول.

- سـيرين ألم تقولي إنك أعرت ملخصـــك لزميلتنا في الغرفة المجاورة؟ هل أحضرته؟

- يا إلهي لقد نسيت ذلك، شكرا لتذكيري...

- نازوس ما هذا؟

- لا أعلم صـــدقيني، علي الـذهـاب قبـل أن تعود مجـددا وتراني...

- لقد أحضرته، مهلا أين تلك الفتاة؟؟

"رائع... الآن لا تراها مع أنها و اقفة أمامها لم تستطع الخروج من الغرفة حتى قبل أن تعود"

- إنها صديقة قديمة، جاءت سألتني عن مكان المقهى...

أعلم أنها لم تصـدق هذا، هي فقط تغاضـت عن الموضـوع، هذا جيد لكن السؤال الآن: ما الذي يحدث مع نازوس؟

بعد تلك الواقعة تكرر الأمر مما زرع الرعب في نازوس.

المرة الثانية حين دخلت سـيرين مع صـديقة لها: سـوزان مرحبا.مهلا مع من تتحدثين؟

- لا أحد...

- سمعت صوت أحدهم...

- آه... كنت أكلم أمي في الهاتف، ولكني انتهيت للتو، ما الأمر؟

- آه... سلمي لي عليها المرة المقبلة التي تحادثينها بها.

- أأآه... طبعا.

خلال شهرين اكتشفنا سبب مشكلة نازوس، كان أنا، أنا من يتحكم في ظهورها واختفائها واسـتطعت السـيطرة على هذا الأمر، قـد لا يكون مريحـا لكن أفضـل من أن يتم الأمر بعشوائية قد تفضح أمرها...

بعد ذلك عرفت سيرين على نازوس بعد ما قررنا أن تبقى ظاهرة للملإ حتى صارتا صديقتين، طلبت منهما مرة الذهاب لشراء الوجبات الخفيفة، وتركاني وحدي في السكن حين صعقني الخبر.

"نقل مصدرنا خبر حادث سيارة في العاصمة يوم أمس جراء العاصفة الرعدية التي تسببت بانزلاق السيارة واصطدامها بعمود الكهرباء الذي أدى لوفاة الزوجين الذين كانا في السيارة... إلخ"

أغلقت صفحة الأخبار في هاتفي و انتقلت إلى جهات الاتصال و اتصلت بأمي لأني لم أتصل بها اليوم بعد...

- "السلام عليكم، مساء الفل يا ست الكل، كيف حالك؟"

- عذرا هل أنت أحد معارف صاحبة هذا الهاتف؟

- نعم، مهلا ما الذي... (قاطعني).

- الرجاء المجيء إلى المستشفى الوطني، لقد توفيت صاحبة هذا الهاتف هي والرجل الذي معها في حادث أمس...

- مهلا... ما الذي تعنيه بتوفيا ومستشفى وكل هذا، من أنت... أعد الهاتف...

- أنا الطبيب المسؤول، توفيت هذه المرأة أمس بسبب العاصفة...

- هل تقول إن أمي توفيت...

- هي والرجل الذي معها، أرجو أن تأتي إلى المستشفى بأسرع وقت ممكن.

كان لا يزال يتحدث حين هوى الهاتف من يدي وسقطت مغمى علي.

عندما استيقظت وجدت نازوس وسيرين قربي يتحدثان مع شخص ما، يبدو أنني في مستشفى وهذا طبيب...

سمعت نازوس تقول له: لا، ليست أول مره، آخر مرة انخفض مستوى السكر في دمها مما سبب إغمائها..

رد عليها الطبيب: يبدو أن هذا حدث بسبب صدمة ما، يفترض أن تستيقظ الآن...

قلت و أنا أحاول النهوض: سـيرين أريد الذهاب للعاصـمة، أريد الذهاب للبيت.

- سوزان، حمد لله أنك استيقظت، ما الأمر؟

أمي و أبي في المستشفى (قلت وقد تمكنت الدموع مني)

- من قال ذلك...

- اتصـلت بأمي فرد علي شـخص قال أنه طبيب، ثم أعلمني بالأمر...

- لا بأس عليك، اهدئي لنذهب للعاصمة ونتأكد من الخبر...

- لقد أقل إنهما توفيا

- ماذا! (صرختا معا)

- لنذهب... لنذهب أرجوكم (قلت أنا).

حجزنا التذاكر و انطلقنا إلى العاصمة بسرعة، وفوروصولنا إلى العاصمة ذهبنا إلى منزلي لا كني وجدته فارغا...

- أبي بالدكان، نعم الدكان، سيرين نازوس لنذهب للدكان.

رأيت أحمد هناك، ناديته من بعيد، و أنا ألهث.

- أحمد... أحمد، أين أبي يا أحمد؟

- لا أعلم خرج قبل يومين ولم يعد، ولم أستطع الاتصال به...

- أغلق الدكان وتعال معي

- إلى أين

- المستشفى

نظر لي وقد على الخوف وجهه لكن ما كان منه إلا أن نفذ، بعدها أوقف لنا سيارة أجرة و انطلقنا للمستشفى...

وصلنا للمستشفى وساعدتنا الممرضة في الوصول إليهم...

وجدتهم، وجدت زهرتي الزنبق، لكنهما ذابلتان، لم أسمع أهلا حبيبتي أو أهلا صغيرتي؟ أين ذهبت ابتسامتهما؟ لم أجد ذلك الحب الذي كانا يستقبلانني به؟

حتى تلك اللحظة لم أصدق الأمر...

بدأت دموعي بالهطول بكل برود وثقل...

تباطأ نفسي، مسحت دمعي بطرف كم يدي كي أردعها عن السقوط و أنا أعض شفتي لعل الصراخ الذي بداخلي لا يخرج...

أخذت أهز كتف أمي لكنها لم تجب...

هززت كتف أبي لكنه لم يجب هو الآخر...

وقفة بينهما في حالة ضياع أنظر تارة لأمي وأصرخ (ماما)

وتارة إلى أبي وأصرخ (بابا) و أنا مترددة بين الاثنين، أروح و آتي...

صرخت نازوس وهي الأخرى تبكي بحرقة (إنه أمر ربك يا سوزان، توقفي، لا تنحبي ...)

بدأ الطبيب يخبرنا كيف وصلوا هنا وتفاصيل أخرى لم أسمعها، لم أرد ذلك، ما الفائدة من سماعها لقد رحلوا فعلا هل علمي بذلك سيعيدهما؟ لن يفعل...

انتهى الأمر ستذهب زهرتا الزنبق...

تاركتان خلفهما السوزان لوحده...

بعدها سنحت لي الفرصة برؤيتهما قبل مراسم الدفن...

أمســـكت يد أمي الباردة إلا أنني شـــعرت بدفءٍ لامس قلبي مباشرة.

أمسكت يد أبي ثم أجهشت بالبكاء...

وحينها أمسكت بي سيرين وأخذتني للخارج لم أمتلك أي قوة للمقاومة حينها...

ســـمعت أبي يقول لي مرة عندما كنت طفلة (الناس تنجب الأبناء كي يدعوا لهم بعد موتهم) ...

ربما الآن حان دوري لأرد الجميل لهما...

***

# الفصل الثاني عشر

# آكلو حقوق البشر

كان أول يوم بالتعزية حضر الجيران والأقارب للتعزية، مراسم مشبعة بآلام الفقد...

حدث ما لم يكن بالحسبان، ظهر ثلاثة أشخاص بسياراتهم الفارهة، وقد بدا عليهم الترف، ويا للروعة إنهم أعمامي الثلاثة! هل استيقظت ضمائرهم عندما علموا بوفاة أخيهم الأكبر؟ ظننت أنهم موجودون في شجرة العائلة كاسم فقط.

- عظم الله أجركم يا ابنتي...

-شكر الله سعيكم...

كانت أكثر ثلاثة أيام كريهة في حياتي، ليس لأن والديَّ توفيا، بل لأن هؤلاء الثلاثة ظهروا...

-من المؤسف ألا يكون لأخينا حمزة ولد ذكر يرث كل هذا...

-عزيزتي سوزان هذا السيد كمال إنه أفضل محامي على الإطلاق ...

كان يجب أن أعلم أنهم هنا في رحلة عمل، حتى أنهم أحضروا معهم محامي ليرثوا دكانًا صغيرًا وشقة وبعض الحليّ الذهبية، التي لا تساوي شيئا في بحر أموالهم.

كان أعمامي الثلاثة مشهورين بنصبهم واحتيالهم وسوء أخلاقهم عند الناس، ولا أنكر هذا ...

أكثر ما يثير حيرتي وصفهم الدكان والشقة ب "كل هذا"...

-عزيزتنا سوزي...

خرجت هذه الكلمات ممزوجة بكمية كبيرة من الخبث والحيلة،

كنت أستطيع اشتمام رائحة المكر تخرج من ثلاثتهم ...

-سوزان ماذا ستفعلين بالأسهم؟
-أي أسهم؟

-لا تتظاهري بالغباء لتكون لك، أنت لا تزالين صغيرة لن تجيدي التعامل معها، ثم أن الشقة والدكان والمزرعة تكفيك.

-هل لدى أبي مزرعة وأسهم؟

-نعم (قالها المحامي) أن قيمة الأسهم تزيد عن سعر الشقة والدكان والمزرعة معًا.

-لم أعلم أن أبي يمتلك كل هذا!

-حسنا بما أنك لا تعلمي سنأخذها، لا تقلقي سنعيدها لك في المستقبل...

-كما تريد.

استسلمت لهم، مع أن هذا كله جهد أبي، ليفعلوا ما يشاؤون، أتمنى أن يخلدوا في الأرض مع أمولهم، ولا يموتوا، لا أريدهم أن يذهبوا ليزعجوا أبي، لو استطاع ثلاثتهم امتلاك كنز قارون، لقتل أحدهم أخويه ليكون له.

ربما عرفت الآن لما شُرع الإرث، لينشغل الناس به عن الحزن على من فقدوا، وكأن الإرث تعويض من الموتى للناس لأنهم رحلوا.

لم أستغرب بعد هذه الثلاث أيام سبب عودة آكلي حقوق البشر هؤلاء، وقد كانت آخر مرة رأيتهم بها منذ خمسة عشر عامًا.

كان الهدف من زيارتهم أمرين لا ثالث لهما، الأول وهو الأهم الحصول على الأسهم، الثاني وهو قصر السنت الناس عنهم أو كما يقال (رد عتب) ...

هم لا يعلمون أن ابنة أخيهم طالبة قانون يمكنها زج ثلاثتهم في السجن.

لكنها أعطتهم فرصةً قد لا تطول مدتها...

ربما حتى تخرجي.

اخذوا المال من هنا، وسافروا ليعود كل منهم إلى تلال أمواله.

عادوا لقرع كؤوس الخباثة، وتدخين الطمع، ورمي النرد على من الذي سوف يقامر بحياته هذه المرة.

انقضت الثلاث أيام للتعزية، توجهت بعدها للمزرعة التي لا أعلم عنها شيئا، رحب بي العامل هناك، ولما أعلمته بالأمر عزاني، و أثنى على أبي رحمة الله...

-تعالي سأريك زوجتي وولدي.

قلت في نفسي زوجة وولد!

هـذا يعني أنني مســؤولـة عن تلـك العـائلـة أمـام الله، وهو بالو اقع حمل كبير...

-زوجتي هذه سوزان ابنة صاحب المزرعة.

-أهلًا، طالما حدثنا والدك عنك، إنه يحبك كثيرًا على ما يبدوا.

-شكرًا لك، لا بدَّ من هذا فأنا ابنته الوحيدة...

تابعت حديثي: لم أعلم بوجود المزرعة أو بوجودكم هل هناك غيركم؟

قال الرجل: لا نحن فقط.

تجاهلت نظرات التعجب التي طغت على وجههما، وألقيت بنظري على زوجته وولده...

رأيت زوجة رجل المزرعة تحمل طفلها، وقد بدا صــغيرًا في المهد.

عندما سألتها عن عمره قالت إنها أنجبته في أثناء نزول المطر قبل سبعة أيام ...

-مبارك لكما هذا الملاك الصغير...

-بارك الله بك.

قبل سبعة أيام في أثناء نزول المطر! (هذا ما أكننت في نفسي).

فكرة حينها أن ما من روح تترك الأرض، وتصعد إلى السماء حتى تنزل أخرى ...

وقد يعني هذا أن هناك روح أخرى ولدت في مكان ما ...

-حسنا تعال معي أرني المزرعة رجاءً.

- آه. حسنًا

كانت المزرعة كبيرة نوعًا ما، هناك أشجار المشمش اللذيذ وفاكهة أخرى وبعض الخضار.

كما على فيها صوت الديك الذي كان يحرس الدجاج، كان هناك بقرتان، ومجموعة خراف وفرس واحد.

كان الفرس أسود اللون، كان يشبه كثيرا ذلك الفرس الذي رسمته في صغري، أريت الرسم لأبي الذي علق الرسم على

باب خزانته، وطلب مني تسميته، لذا أطلقت على هذا الفرس نفس الاسم أيضًا "فارس".

بدأت دمعه تتسلل من عيني دون أن أنتبه، تساءلت كيف سيكون حالي لو أن أبي هو من قدمه لي، ولم أكتشفه أنا.

لو أنه امسك يدي، و أنا أصعد على الفرس وأمي (تقول له انتبه لا تجعلها تسقط).

مسحت دموعي سريعًا، و أكملت جولتي...

كان هناك أيضًا في وسط المزرعة منزل من طابقين، وعلى جانبه يوجد غرفتين سكنها رجل المزرعة مع عائلته الصغيرة.

بعدها طلبت منه ألا يخبر زوجته عن وفاة أبويا في هذه الفترة، أعلمته أن لا شيء حاليًا سيتغير، سيبقى أجره كما هو، حتى أرى ماذا عليَّ أن أفعل ...

تذكرت ذلك الفتى أحمد أيضا، يجب ألا أغير شيء الآن علي التفكير مليًا حتى لا أظلمهم.

انتهى الأسبوع، وكانت الصدمات تتأرجح بي كيفما شاءت ...

وصــلت باب غرفة الســكن، وأرجل لم تعد تحملني، وكأنني أحمل حجارةً على ظهري...

فتحـت لي ســيرين البـاب ونـازوس معهـا، فوقعـت عليهمـا، وساندني حتى وصلت للسرير...

نـازوس وســيرين كانتا قـد ســافرتا قبلي بيومين، و انتحلت نازوس شخصيتي، وحضرت الدروس عني، كان عليهما السفر قبلي لأن الإجازة التي حصلنا عليها انتهت.

-لا تخبر أني بشيء أخشى أن تنطبق السماء على الأرض هذه المرة إذا أعلماني بأمر ما ...

رأتا كم أنا متعبة، لذا تركتاني أنام، وعندما اســتيقظت وجدت ثلاثة أكواب من الشــاي وصــحن بســكويت، وهما تنظران إلي بابتسامة جميلة، أنا حقًا أجد نفسي معهما، أنا أحمد الله عليهما ...

رميت الوسادة عليهما وأمسكتها نازوس.

-سيرين، نازوس لقد افتقدتكما كثيرًا ...

لحســن الحظ انطلت على الجميع خدعت نازوس فقد كان شكلانا متطابقاً إلى حد ما، وكانت سيرين تكتب لي الدروس، وتحل الواجبات، أنا حقًا ممتنه لهما.

كان علي العودة إلى العاصــمة من أجل العائلة التي تســكن المزرعة وأحمد، لكن الآن لدي امتحانات لذا ســأذهب بعد القضاء عليها.

بغض النظر عن الصــعوبات التي واجهتها في الامتحانات استطاع دماغي الصغير بفضل الله حفظ هذا الكم الهائل، بقية مصدومة من نفسي وفخورة بها، في الوقت نفسه أعزيها على روحها وطاقتها التي تركتهما على الورق ...

سلمت ابتسامتي مع ورقة الامتحان الأخيرة، حسنًا ستشتاق إليها وجنتاي لكن لا بأس..

وبعد صدور النتائج وإعلان نجاحي، كنت أتمنى فقط لو أنني أحتفل مع أمي أبي.

***

# الفصل الثالث عشر

## أحقًا هذه هي الحياة!

بعدها بيومين حضرت فنجان القهوة وأوراق وقلم، رفعة شعري بتسريحة ذيل الحصان، وهذا يعني أنني جادة بما سوف آمر عقلي بالتفكير فيه ...

شمرة أكمامي كالمقبلة على قتال، وبدأت أحسب الأرباح التي يجنيها الدكان والمزرعة مُقَارَنَتًا بمصروفي الشخصي ومرتب أحمد ورجل المزرعة، ثم كيفية زيادة الأرباح ...

ولك أن تتخيل وضعية بدون طوق النجاة خاصتي (الآلة الحاسبة)، بدونها لقضية ساعات في حساب الأرقام لعملية حسابية واحدة.

أشعر أن هذا العالم غير عادل مثلًا أحمد من يقوم بالحساب واختيار المنتجات وترويجها بينما أنا لا أجيد سوى جمع المال،

أيضًا رجل المزرعة، وزجته هما من يرعيان الماشية، ويعتنيان بها، يفلحان الأرض، ويجمعان المحصود لآتي أنا في الأخر أسألهما ماذا أنتجت المزرعة ...

هذا ليس عدلا أشعر أني غبية لأني لا أجيد هذا وذاك.

عجبًا حال الدنيا...

الناس متفاوتةٌ...

تجد الغني مرتاحا لا يقوم باي جهد.

وتجد الفقير الذي بالكاد يجد لقمة عيشه يقوم بمجهود كبير، ويقوم الناس أحيانا بظلمه وتوبيخه.

ولا هذا يستطيع العيش بدون هذا، ولا هذا يستطيع العيش بدون هذا...

-لماذا لم يخبرني والداي عن كل هذا، أنا حقا ثريه، نوعًا ما...

اقتربت نازوس وقالت: هل ستزيدين الرواتب؟

-نعم، يمكنني...

-لكن بالفعل لما لم يخبرك والديك بكل هذا؟

-أظن أنه بإمكاني تخمين ذلك...

-حقا؟

-نعم، فكري، إن قيمة الأسهم كبيرة، وهذا يعني أن أبي استثمرها منذ زمن بعيد اعتمادًا على ما يجنيه الدكان، وعلى الأغلب كنت صغيرة، ولن أهتم بمثل هذه الأمورلذا لم يخبراني...

-آآآآ...فهمت الآن.

-الذي لم أجد له تفسيرًا هو المزرعة، لو أن أبي ورثها لكنت قد علمت بشأنها منذ طفولتي، حتى إن كان اشتراها لماذا لم يخبرني؟

-أتذكر أن المزرعة كانت معروضة للبيع في أحد الجرائد منذ عدة أشهر، وبما أنك أكثر شخص لا يحب أن يقرأ الجرائد لم تعلمي بأمرها، أتذكر أن هذا كان بعد، وصولنا إلى هنا، قد يكون أبوك قد تركها لك مفاجأة لحين عودتك؟

-هذا احتمال وارد، سأسأل رجل المزرعة عن هذا ...

-فكرة جيدة. صحيح لقد بدأت الإجازة هل ستسافرين إلى العاصمة؟

-لديك الجراءة لتسمي هذه إجازة، على كلن سنسافر غدًا.

حينها سمعت سيرين حديثنا، فقالت: هل لي أن أرحل معكم؟

تبادلت النظرات مع نازوس ...

-والداي مسافران

قال كلانا أنا ونازوس

-طبعا، هذا رائع سنستمتع كثيرًا.

-سنذهب غدًا

-حسنا أنا مستعدة في أي وقت، هل أذهب إلى حجز التذاكر؟

-نعم رجاءً

-ثلاث تذاكر إذاً.

في الرحلة جلســت بجانب ســيرين، وفي المقعد الذي خلفنا نازوس، همســت ســيرين بأذني بعدما تأكدت أن نازوس قد وقعت في فخ النوم قائلة: سوزان هلي بسؤال؟

-تفضلي

-عندما أصبت في الحريق استغرقت وقتًا طويلًا جدًا للتأقلم مع الوضــع، لا أنكر أني كنت حينها لا أزال طفلة لكن أنت.. أنت حقا تأقلمت مع موت والديك سريعًا، لقد كنت أتساءل كيف فعلت ذلك؟

صَمت قليلا، لتقول هي: آسـفة إذا كان ذلك يزعجك لسـت بحاجة للإجابة.

ابتسمت وقلت لها: أعتقد أنني بحاجة للتحدث عن ذلك..

قالت بنبرة حزينة: سوزي...

تنهدت :عندما توفي والديي كنت أؤمن أن ذلك هو قدرهم حقًا، حتى لو ملأت البحر دموعي لن يعودا إلى الحياة، هذه هي إرادة الله وبالتأكيد هذا أفضــل لهما، لكن في مرة عندما كنت أبكي نظرة إلى صــورتهما، وتســاءلت (ماذا لو كانا معي

الآن، كانت أمي لتمسح دمعتي ثم تضمني، وتقول لي لا تبكي ستجعليني أحزن، و أكثر شيء لا أحبه هو رؤية أمي حزينة، أما أبي كان سينهاني عن البكاء، ويقول لي: كوني سعيدة هيا آرني ابتسامتك، كان ليقول لي أنظري الورود لم تذبل لا تزال الدنيا بخير، كانا سيقولان لي :لا تجعلي الحزن يتغلب عليك، أنت أجمل و أنت تبتسمين) فكرت أنه لو استطعت رؤيتهما قبل وفاتهما لقالا لي اعتني بنفسك، وهذا يعني أنني إن أصبت بمكروه فسيغضبان لأنهم تركاني أمانةً عند نفسي، لا أريد أن يخيب ظنهما، هذا ما فكرت به حينها...

صفقت نازوس خلفنا: لم أر إنسانًا يواسي نفسه مثل هذا من قبل!

-نازوس هذا ليس وقت مزاحك، سوزي أنت حقا رائعة.

قالت هذا ثم احتضنتني.

-نازوس ألم تكوني نائمة

-من سينام، وكل هذا الحزن أمامه، ألا أستحق عناقًا أنا أيضا!

- نعم نعم آنسه غيره.

هنا علت الابتسامة وجهنا، من الرائع أن يكون حولك شخص ينقذك من غيومك السوداء عندما تقع بها.

وصلنا للحي الذي اسكن فيه، ومررنا أمام الدكان.

-أحمد!! هل تغلق الدكان يا أحمد، لا يزال الوقت مبكرًا؟

-آنسة سوزان، في الواقع هناك ما أعلمك به.

- ماذا تخبرني؟

-سيكون زفافي بعد يومين، لذا أريد أخذ إجازة لأسبوع.

-افتح الدكان، وأحضر كوبين من الشاي.

-حاضر، آنسة سوزان

-سيرين ونازوس خذا بعض الطعام، واذهبا للمنزل، لأن الفراغ هو ما يملأ الثلاجة حاليا، نازوس أنت تعرفين الدكان جيدًا ساعديها.

-حسنا سيدة أوامر.

على الرغم من أن الواحدة منا قد أوشكت أن تصل لسن العشرين لكن روح الطفولة ما زالت تسكننا ...

-تفضلي آنسة سوزان

-سأناقشك بأمر الدكان سيكون هناك بعض التغيرات.

رأيت التوتر في عينيه ثم قال: حسنا.

-لا تتعامل معي بهذه الرسمية المزعجة، نادني سوزان وحسب لا داعي لكلمة آنسة هذه، إذا كنت تنادني بآنسة فسأناديك بالحج أحمد أو بعمي أحمد لأنك أكبر مني، هل نسيت عدد المرات التي ساعدتني في أخذ الحلوى بها من الدكان دون علم والدي!

ضحك ثم قال: حسنًا، لا لم أنس.

-سيرتفع مرتبك، أيضًا لماذا لا تأخذ شهر إجازة؟

- ماذا شهر هذا كثير.

لا يحق لك أن ترفض، أنت لم تعرفني على عروسك حتى.

قال وهو يبتسم: حسنًا أنا آسف لأنني لم أخبرك.

ثم تابع:

كنت أنوي الذهاب إلى خطيبتي الآن.

-حسنًا، مهلًا لحظة ماذا ستأخذ لها؟

-لا شيء

-أنت تمزح

-لا، لا أمزح

- معروفٌ أننا معشر الجنس اللطيف نحب الهدايا.

اخترت علبة شوكولاتة من على الرفوف، وأعطيته إياها.

-حسنًا، لا أظن أن هناك أنثى لا تحب الشوكولاتة.

بعد عودتك أخبرني هناك ما أعلمك به، حسنًا؟

أومأ رأسه بنعم ثم أغلق الدكان، وذهب وبصحبته علبة الشوكولاتة

كان سعيدًا جدا، وكما يقولون في مصر كانت ابتسامته (من الودان للودان).

عدت للمنزل، وجدت سيرين ونازوس يعملان على ألذ مركبٍ كيميائي "الشاكرية"، لقد بدأت رائحتها بالانسجام مع الأكسجين والتراقص في الهواء الذي أستنشقه...

تسللت إلى غرفتي دون أن تشعرا بي.

نعم غرفتي الحبيبة، لقد اشتقت لك كثيرًا، رميت نفسي على السرير الذي تراكمت فوقه الذكريات، تذكرت حينها ذلك اليوم الذي أصريت على مشاهدة فلم رعب مؤكدتا أني لا أخاف، كنت كأي طفل في ذلك العمر لا يعترف بكونه صغير، وقتها مثَّل والداي أنهما متخاصمان، لتطرق أمي الباب، وتقول: هل يمكنني النوم عندك لا يمكنني تحمل شخير والدك، شعرت أنني أصبحت كبيرة، وأن أمي احتاجت إلي فعلًا، لقد كنت يومها خائفةً من ظلي، لكن اكتشفت فيما بعد أنهم استخدموا هذه الحيلة لأني لم أعترف يومها بخوفي من النوم وحيدةً!

ليس هذا وحسب.

تذكرت كيف كان أبي يوقظني من النوم في الوقت نفسه يخشى أن يزعجني.

تذكرت أشياء كثيرة حتى ابتسمت، ثم قلت لنفسي انهضي هناك ضيفتان في منزلك، و أنت مستلقية هنا!

ذهبت إلى المطبخ ووقفت سيرين قربي تهمس بحذر شديد: نازوس غريبة حقًا!! تخيلي لمست القدر وهو ساخن لكنها لم تتألم، ليس هذا وحسب إن سرعتها في تقطيع اللحم كبيرة مُقَارَنَتَا بها، هي أنحف من أن تكون بهذه القوة!

ضحكت ثم قلت لها: والدها يعمل طاه، لا بدَّ وأنها ورثت ذلك منه.

-هل هناك من يذكني.

قلت و أنا أسخر منهما: نعم، هل لديك مشكلة في ذلك؟

-لا أبدًا على العكس، هذا يعني أنكما ترونني رائعة جدًا.

بصراحة يصعب فهم هاتان الاثنتان كثيرا!

بعد العمل والجهد، ها قد حان وقت الموكب:

-رحبوا معي بصحن الشاكرية (قالت سيرين ونازوس جالسة على طاولة الطعام تصفق)

-والآن رحبوا معي بالأرز(قلت أنا، وأخذتا تصـــفقان بعد ما جلست سيرين أيضًا)

-لقد أحضرت الملاعق والصحون بالفعل لنبدأ.

-هل ترين يا ســـوزي، أكثر شـــخص طفولي بيننا يعكر جونا الآن.

-أمم إنها حالة مستعصية بالفعل.

-برأيك ما هو علاجها؟

-لا أعلم ...

قلنا ونحن نســخر من نازوس التي كزت أســنانها بقوة من غيظها، وهي تعلم أننا نتعمد استفزازها.

-ما هو ذنبي إذا كنت جائعة، هيا لنبدأ.

-انتظري (قالت سيرين)

-واحد، اثنان، ثلاثة، هجووووم

ذكرنا اسم الله ثم بدأنا الأكل.

-سوزان هذا يشبه طعم التي تعدها أمي.

-نعم فعلًا.

-نازوس لم تقولي شيئًا كهذا الآن.

-لا بأس سـيرين، هي حقًا لذيذة كالتي تعدها أمية كما أني أحب أن أتذكر هذا.

أنهينا الطعام، ورتبنا الفوضى التي فجرنها في المطبخ.

بعدها تناولنا الفواكه التي أحضـرتها نازوس وسـيرين من الدكان، وفي أثناء ما نحن مسـتلقون على الأريكة نشـاهد التلفاز، سمعنا صوت طرق الباب، وكالمتوقع إنه أحمد.

-سوزان شكرًا لك، لقد أحبت منى الشوكولاتة كثيرًا.

-ألم أقل لك.

-هي أيضًا كانت سعيدة جدًا عندما علمت أنها منك؟

-أخبرتها أنها مني؟

- نعم بالطبع.

-مغفل، كان يجب أن تقول إنك من أحضرها...

-لكنك من احضرها

-حسنًا إنسى الأمر، هل حددتم اين سيكون حفل الزفاف؟

صــرخت كلٌ من ســيرين ونـازوس "حفـل زفـاف، هـل نحن مدعوتان؟"

-نعم طبعًا، سيكون في منزلي..

قلت: لكن منزلك لا يستع لكثير من الناس؟

-سيكون بسيطًا، سيكون هناك أمي وعائلة منى فقط

-أنت تمزح!

-لا، أنا لا أعرف الكثير من الناس..

بصراحة لم أستغرب قوله هذا فشخصه خجول.

-ماذا عن الجيران؟؟

-سيأتي عمي أبو صالح فقط..

-هل تسمح لي أن أقيم الحفل في مزرعة أبي؟

- لا، لا أرجوك

-هيا ليس لدي المال لأقدمه لك كهدية لزواجك، اقبل عرضي أرجوك..

قال وهو يضحك: حسنًا.

أبدت الفتاتان خلفي فرحتهما، ثم وجها لي تلك النظرة، وقالتا: متى سنذهب إلى السوق؟

حينها رمشت عيني مرارًا وتكرارًا، و أنا أقول في نفسي (أنا حقًا لا أملك ما أرتديه في الحفل)

ثم وقفت وقلت: الآن.

وصلنا السوق وتركت مهمة اختيار الفستان لنازوس وسيرين، و انشغلت بالاتصال بالجيران واحدًا تلو الآخر أدعوهم لحفل زفاف أحمد.

-لقد انتهينا

-آرني فستاني

بصراحة لم أعلم أنهما لا يمكنهما إرضاء ذوقي مع أني لست صعبة الإرضاء، اقترحا علي فستانًا كان سيء ولا يمكن ارتداءه!

قررت الحفاظ على ماء وجهي واختيار الفستان بنفسي...

ولأن الوقت لا يزال مبكر انطلقت للمزرعة تركتا سيرين ونازوس في المنزل، لم يكن لدينا متسع من الوقت لتجهيز المكان للحفل، هذا ليس أي عرس إنه عرس أحمد...

وصلت للمزرعة وأخبرت رجل المزرعة وزوجته بالأمر كانا في غاية السعادة حتى ذلك الملاك الصغير ابتسم.

طالما ظننت أن الأطفال يفهموننا ويشعرون بأحاسيسنا.

-علينا الذهاب للتسوق الآن لنبتاع بعض الزينة.

-حسنا، ماذا عن الطعام؟

-هذه مهمتك، خذ خاروفين من المزرعة غدًا إلى المسلخ.

-حسنًا، سيدتي هل تذهبين معنا، أظن أن لديك أنت وزوجك بعض الآراء بما أنكما متزوجان؟

-حسنا كما تريدين.

وبالفعل كان كل شيء موجود بعد أربع ساعات من التسوق، كان وقتا قياسيا، وبما أن الوقت تأخر اتصلت بسيرين أعلمها أنني لن أعود للمنزل، وسأبيت بالمزرعة الليلة.

لم أعلم أن المنزل من الداخل بهذا الجمال، في المرة السابقة التي أتيت فيها إلى هنا لم أدخل المنزل، لاحظت أن بعض الغرف لم يتم فرشها كان أثاثها ناقصا، لأتأكد بهذا مما قالته نازوس لي ذلك اليوم.

ذهبت إلى غرفة النوم التي بها سرير لشخص واحد، وعلى ما يبدوا أنها لي، وبجانبها غرفة لشخصين، يبدوا أنها كانت لتكون غرفة أمي و أبي ...

آه يا أمي و أبي لو ترون ذلك الفتى أحمد، لقد أصبح رجلًا، وسيتزوج بعد غد، لم يعد ذلك الفتى المسكين الذي تعرفه يا أبي ...

خلدت للنوم وفي الصباح عندما استيقظت توجب علي العودة للمنزل لإحضار نازوس وسيرين لذا طلبت من رجل المزرعة وزوجته إعداد الزينة ريثما أعود..

وصـــلت للمنزل وبالطبع تم الاســـتيلاء على فراشـــي الـذي يسعني وحدي، بطريقة أو بأخرى نامتا معًا على سريري، على ما يبدوا لم يجداه واسعا ومريحًا بما فيه الكفاية ...

أخذت أضحك من منظرهما ثم قلت: استيقظا لقد عدت ...

-سوزان ...

-نعم سوزان، ومن غيري بر أيك...

-أهلا بعودتك ...

-هذا منزلي، أنا من أرحب بالناس، وليس الناس من ترحب بي.

نهضـــت نـازوس أولا، و اتجهت نحو بـاب الغرفـة، وفتحتـه لتخرج...

-آآآ...

-سيرين ماذا بك ...

-هناك شبح فتح الباب...

-لا يا سيرين هذه نازوس ارتدي نظارتك...

على ما يبدو فقدت سيطرتي قليلًا، لكن سيرين كانت صادقة الذي فتح الباب هو شبح، لكن من الجيد أن سيرين تضع النظارات، وإلا انتهى أمر نازوس...

علمت فيما بعد أنهما شاهدا فلم رعب، لم أستغرب ما فعلته سيرين فهي تخاف كثيرًا على عكس نازوس التي تغضب لأن البشر يشوهون سمعت الأشباح في أفلامهم كما تقول ...

تناولنا وفطورنا وتناولت مسامعنا لحن الطيور، الصباح رائع على صوتها هذا ما كانت تقوله زهرتا الزنبق أيضا...

بعدها أخذنا حاجاتنا، و انطلقنا للمزرعة، لقد غبت خمس ساعات فقط لكن كان كل شيء جاهز...

المفارش على الطاولات، أخذت صحون الملبس والمكسرات والشوكولاتة مساحتًا لها، لتصطف قربها فناجين القهوة المرة والدلة. طبعًا كانت الدلة فارغة لكن مساء غد ستفوح منها رائحة القهوة المُرة، وهي تُغَلَّى على الجمر، آه كم أشكر أجدادنا لاكتشافهم هذا الخمر الحلال.

-سيرين ونازوس عليكم بالحلوى.

قالت سـيرين بفخر: فطائر بالقشـطة وكعكة من طابقين، ومعي ابنـة طاهي، لا مشـكلة، لقـد أسـندت هـذه المهمـة لشخص موثوق.

-أيضا الكنافة لا تنسيها.

قالت نازوس: ماذا عنك؟

-لا تقلقي لدي ما أفعله، هيا الآن.

ثم التفـت وقلـت: رجـل المزرعـة هـل أخـذت الخراف كمـا أخبرتك؟

- لا ليس بعد.

- حسنا اذهب الآن.

- حسنا

- اسمع رجل المزرعة، أحضر بعض أصناف البقلاوة التركية، أحمد يحبها كثيرًا.

قالت زوجته: لا تتوتري هذا واضح على وجهك بقوة.

-وجهي الخائن مرة أخرى.

مر اليوم بتفاصيل جميلة وشجارات لطيفة بين نازوس وسيرين، أنهى الجميع عمله ثم خلدوا للنوم.

وفي اليوم التالي كان كل شيء جاهزا قبل وصول أحمد وعروسه قرابة المغرب، بعدها ذهب الجميع ليجهزوا أنفسهم.

بدأ الناس بالوصول للمزرعة وأولهم العم أبو صالح ذي المكانة الخاصة عند أحمد.

بدأ الحفل وحضر الناس، كانت من اسعد الليالي التي عشناها، غنينا الهواري، ورقصنا الدبكة، وهنا اظهر العم أبو صالح مهارته رغم كبر سنه.

قدم لنا شباب الحي عرض السيف والترس الذي حبس أنفاس الجميع.

أهالت نازوس وسيرين بالزغاريد، وارتفع صوت أم وأخوات العروس بالزلاغيط.

حتى أم أحمد رقصة على كرسيها.

بعدها قدم لنا رجل المزرعة أجمل العراضات التي رأيتها.

كان جميع من في المزرعة سعيدًا عدا الخراف والأبقار التي كنت أسمعها تطالب بحقها بالنوم، كما فعل الدجاج والعصافير التي سكنت الأشجار.

على عكس "فارس" الذي أدى دوره بإتقان في أثناء زفة العروسين.

كان أبو صالح وبقية الجيران يجلسون سَوِيَّتَا، كانت آخر مرة رأيتهم يجتمعون بها كانت بحضرة والدي.

وقد تسلّموا مهمة إفراغ دلال القهوة المرة، ولا ألومهم فهي ألذ المشروبات على وجه هذه الأرض المكورة.

تنحيت عن كل هذه الضحكات، وجلست هناك. في آخر الحفل بعيدًا، نظرت إلى السماء، يبدوا أن هناك من أرسل دعوات للنجوم هي والبدر الذي شابه العروس حُسنا.

بينما أنا أجلس وحدي سكت الجميع، يبدوا أنه دور الباس الحلي للعروس... في هذه الأثناء لاحظت نازوس غيابي، وجاءت إلي تجلس قربي.

بعدها سمعنا أحمد يغازل قطعة السكر التي أمامه، ويقول لها: أنت حياتي.

-حياته؟ هل وجد بها حياته؟ أظن أنه شعور جميل، لكن هل يجد الجميع حياته بالزواج؟

-أعتقد أني أعلم كيف يشعر أحمد الآن.

- كيف؟ هل هو شعور رائع؟

-نعم كثيرًا، إنه مثل اليوم الذي انتقلت به إلى هنا، الأمر أشبه بأن تعثري على نفسك بينما كنتي ضائعة.

-و أين أجد نفسي أنا؟

-أنت من تعلمين هذا لم تسأليني.

نظرت إلى سيرين وقلت: هل تعتقدين أن سيرين فعلت؟

-أظن ذلك، ربما عندما تغلبت على الصدمة التي أصابتها.

-امم

بعدها تنهدت وقلت:

-الآن يقع على عاتقي مسؤولية عائلتين..

- وشبح

-نعم، عائلتين وشبح

-أنت حقًا ماهرة في اجتذاب الهموم، لم تفكري بهذا الآن.

قاطع حديثنا صرخة العم أبو صالح مازحًا: (أحمد، إن شاء الله مفكر إنك إذا تزوجت مارح تصب لنا شاي قدام دكان عمك حمزة الله يرحموا)

- (لا شو هالحكي ياعمي، وهي أحلا فنجان قهوة لَلإلك)

ضحك الجميع من هذه العفوية التي رأوها، وارتفع صوت التهاني والمباركات الموجهة للعروسين.

***

# الفصل الرابع عشر

# شوط طويل

مرت سبع سنوات منذ تلك الليلة، تخرجت بها من الجامعة أنا وسيرين التي لم تفارقني لاهي ولا نازوس.

استطعت بفضل الله فتح مكتب للاستشارات. القانونية في وسط المدينة، ومن جاري في المكتب؟ إنها سيرين طبعًا، ونازوس كانت. تهتم بنا بعد عودتنا من العمل كل يوم إذ أصبحنا نسكن معًا في منزل والدي نفسه.

وقد لاقت أسماؤنا شهرة واسعة.

بالنسبة إلى أحمد فقد رزق طفل هو بالرابعة من عمره الآن، وقد ساعدني كثيرًا في تطوير الدكان.

أما رجل المزرعة وزوجته و ابنه الذي بلغ. ربيعه السابع، كانوا لايزالون في المزرعة التي أسهموا في نموها كثيرًا.

في يوم من الأيام كأي يوم عادي وصلت للمكتب برفقة سيرين بعدما ودعنا نازوس التي بقية في المنزل.

وجدت الكتاب ذاته الذي عندما ظهرت نازوس أول مرة، فتحته وقرأت ما بداخله.

(حان الوقت لنعود)

لم أمتلك فرصة للتفكير لكنني فقدة وعيي حينها، لكني شعرت وكأني أستيقظ.

كما يبدوا أنا مستلقية، يمكنني سماع. صوت جهاز ما، وكأنه ذلك الجهاز الذي يحمل شاشة سوداء تترجم لنا لغة القلب.

هل أنا في مستشفى؟ شعرت بشيء يخترق معصمي وكأنها إبرة؟

بصعوبة كبيرة استطعت فتح عيني...

"أنا في المستشفى إذا"

ضغطت على الزر بجانب السرير لتأتي الممرضة مسرعة، ما إن رأتني حتى ابتسمت ابتسامة كبيرة، ولمعت عينيها بشدة.

رفعت ظهر السرير لتساعدني في الجلوس، ثم غادرت لتنادي الطبيب..

كان هناك مرآة بنية مثبتة على الجدار أمامي على شكل وردة جوري كبيرة، استطعت رؤية منظري من خلالها "لماذا أبدو أصغر"؟

دخل الطبيب ووجهه يحمل البشائر، وقال: حمدًا لله على سلامتك سوزان، لقد ذهبت الممرضة لتتصل بأهلك، وتخبرهم أنك استيقظت.

ثم سألني، هل تذكرين أي شيء قبل أن تفقدي وعيك؟

-طبعا أفعل كنت قد وصلت مكتبي للتو حتى أنني قرأت الكتاب الذي على المكتب ...

-لكن عندما أحضروك لهنا لم تكوني في المنزل؟

- لا لقد كنت في المكتب قلت لك!

-أي مكتب؟

أصابني الذهول هل الخطاء بي أم بالطبيب؟

-آنسة سوزان عندما أحضروك إلى هنا كنت قد أصبت بحادث سيارة في أثناء عودتك من المدرسة.

قررت ألا أكلمه على ما يبدوا فقد هرب من طبيبه، وجاء ليضيع الوقت عندي.

فجأة دخلت امرأة تشبه أمي لكن تبدو أصغر قليلًا نفس الشيء مع الرجل الذي معها كان يشبه أبي.

قالت: سوزان ابنتي، وقد دمعت عينها.

-أمي!

(أسررت داخلي: أهو حلم، من الجيد أن يحلم المرء بأشياء جميلة كهذه)

ابتسمت وقالت: سلامتك يا قرة عين أمك.

ثم سقطت دمعتها على خدي، فزعت بداخلي: هذا ليس حلمًا هذه الدموع حقيقية!

دفعت أمي عني، وسألتها عن التاريخ بخوف يعلو طبقة صوتي، لا أعلم شعرت، وكأن أحدا ما أمرني بهذا السؤال أو أن هذا السؤال هو الذي سيفسر ما يحدث هنا.

قالت: الخامس من مايو ألفين وتسعه.

مستحيل.

نظرت إلى الطبيب، وقد على وجه الجميع الذهول، سألته بلهفة: أخبرني التفاصيل كيف جئت لهنا؟

- كنت عائده من المدرسة ثم صدمتك سيارة، وهربت تاركتا إياك على جانب الرصيف، رآك أحد المارة، و اتصل بالإسعاف كنت قد دخلتي في غيبوبة دامت بعدها نحو ست أشهر، حتى أن الجروح والكسر الذي أصبتِ به تعافى تمام خلال تلك المدة.

- فقط.

- طرأ على دماغك اضطرابات غريبة جدًا وقوية.

نزلت دموعي دموع سعادة مع دموع خيبة أمل هل يعقل أن كل هذا كان مجرد حلم حظيت به في أثناء غيبوبتي؟

احتضنت والدي وقد كنت سعيدة جدا بهما حتى امتلئ كتف أبي بدموعي.

لقد قطعت شوطًا طويلًا بأدق تفاصيله دام أحد عشر عامًا ليأتي أحد الفلاسفة فوق رأسي ليقول: أطول حلم يدوم سبع ثوانٍ فقط.

لا يهم طالما زهرتي الزنبق قُربي الآن.

أيضا من أحد العجائب أنني كنت أحفظ ما تعلمته في الجامعة تمامًا عندما استيقظت، وهناك قوانين من التي أحفظها لم توضع بعد حتى.

لكن شيء ما داخلي كان موقنًا أن نازوس دخلت حلمي، وهذا يفسر الاضطرابات التي حدثني عنها الطبيب أيضا...

لم أخبر أحدًا بهذا طبعًا، أفضل ما في الأمر أنني أكرر نفس الأحداث بأدق تفاصيلها...

لكن هذه المرة وأنا أعلم ماذا سيحدث لذا لم يكن شيء يفاجئني.

كنت أعلم أسئلة الاختبار، وماذا ستطهو أمي اليوم، وأي هدية ستأتيني بالعيد، لكن الفارق الوحيد هو أن نازوس ليست معي.

كان الأمر أشبه بظاهرة (الديجا فو) التي تجعلنا نشعر أننا مررنا بهذه اللحظة من قبل لكن لا نعلم متى...

بينما أنا لا أشعر إنما متأكدة أنني مررت بهذه اللحظة، وأعلم متى.

تكررت نفس التفاصيل. تخرجي من الثانوية، ذهابي للجامعة، سيرين... الخ.

تذكرت اليوم الذي توفي فيه والداي في حلمي بعدما رأيت التاريخ إنه نفس اليوم لكن لم ينزل المطر بعد، اتصلت بأمي أخبرها أن هناك مطرًا غزيراً سيهطل، ومن الخطر خروجهم، لكن كما يبدوا تجاهلت كلامي ليكرر القدر نفسه علي.

ليس من السهل أن تتذوق موت أحدهم مرتين.

كررت الأحداث نفسها علي.

وبنفس القسوة.

لكنه القدر ولا يكمن تغييره.

حتى ذلك اليوم الذي ذهبت به مع سيرين كالعادة إلى المكتب، تاركي المنزل خاليًا هذه المرة لأن لا وجود لنازوس في مكان غير قلبي..

دخلت المكتب ورأيت الكتاب ذاته..

أمسكته، هل أفتحه؟ هل أنا في غيبوبة لن أكرر حياتي مرة ثالثة، لكني تذكرت والديي مما دفعني إلى التقدم لفتح الكتاب..

رفعت نظري لأجد نازوس أمامي، وقد أسندت ظهرها على الحائط، ووقفت على قدم، وأسندت القدم الأخرى على الحائط أيضا، وهي متكتفة تنظر إلي بعينيها الرماديتان نظرة ثقة، ثم أومأت رأسها مع ابتسامة لطيفة بأن أفتح الكتاب...

لذا وثقة بها، وفتحت الرسالة وقبل أن أقرأ الرسالة رفعت عيني لأنظر لها ثانية إلا أنني وجدتها رحلت...

***

# الفصل الخامس عشر

# الكتاب

إلى سوزان:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سوزان هذا الكتاب مني أنا نازوس كما هي المرة السابقة.

أعتذر لأني دخلت حلمك كنت أريد أن أؤنســك فقط لكني وجدتك في رؤيا من الله ثم انخرطت بها

لتكن ذكراي في قلبك دائما

قرينك نازوس
{مع خالص حبي}

- ماذا الآن، هل سأدخل غيبوبةً أخرى لأرى المستقبل، و أقابلها، ثم ارى المستقبل؟
- لكن تبقى سؤال من الذي رتب أدو اتي وحل واجبي؟

_____النهاية_____

***

# دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

**دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..**

**كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.**

***

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكتروني
بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصـفحة الرسـمة لداربسـمة للنشـر الإلكتروني على الفيسـبوك، اضـغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبـدعـة على الـفـيسـبـوك، اضـغـط عـلـى الأيـقـونـة.

# المحتويات

الإهداء ..... 7

مقدمة ..... 8

تنبيه ..... 10

الفصل الأول ..... 11

واجب محلول ..... 12

الفصل الثاني ..... 15

أدواتي المرتبة ..... 16

الفصل الثالث ..... 18

الرؤيا والمرآة ..... 19

الفصل الرابع .....22
على طريق السفر.....23
الفصل الخامس.....27
نازوس.....28
الفصل السادس.....36
الكابوس.....37
الفصل السابع.....41
اللقاء.....42
الفصل الثامن .....48
السيد الكبير.....49
الفصل التاسع.....55
شريكة في السكن.....56
الفصل العاشر.....61
الفصل الحادي عشر.....68
كالمطر غزيرا!.....69
الفصل الثاني عشر.....78
آكلو حقوق البشر.....79
الفصل الثالث عشر.....88

أحقًا هذه هي الحياة! ..... 89
الفصل الرابع عشر ..... 113
شوط طويل..... 114
الفصل الخامس عشر..... 122
الكتاب ..... 123

***

العدو الصديق

خيرات الأبرش

رواية



# العدو الصديق

Khyrat_alabrash






bassmabook
00212771814934
darbassma1@gmail.com